

بومدين وقضية الإسمنت المسلح

الدكتور : أحمد أبو جزر
طالب دكتوراه: قسم التاريخ

المقدمة :

في حديثه لمجلة المصور المصرية في 15 أوت 1973 صرح الرئيس الراحل هواري بومدين بما يلي : " إن للقضية الفلسطينية دورا خطيرا في بناء الأمة العربية، فهي إما أن تكون الإسمنت المسلح الذي يجمع ويقوي ويدعم البناء، وإما أن تكون المفجر الذي ينسفه من أوله إلى آخره ."¹

و قبيل حرب جوان 1967 ألقى خطابا في تجمع حاشد بسيدي بلعباس في 04 جوان 1967، قال فيه : " إن قضية فلسطين هي قضية كل عربي، وقضية الأمة العربية كلها، ولا بد أن يوجد لها الحل، وأن يوجد لها الحل الحقيقي، سواء أحب الصهاينة أم كرهوا، وسواء أحب الإنجليز أم كرهوا، وسواء أحب الأمريكان أيضا أم كرهوا، وسواء أحب الغرب أم كره، والمعركة كما قلت هي ضد الإستعمار والإمبريالية، وهي معركة ضد حلفاء الإستعمار، وركائزه في المنطقة العربية .

.... كما أن المعركة ضد إسرائيل لا يمكن فصلها عن المعركة ضد الإستعمار والإمبريالية، ولا يمكن أن نفصلها أيضا عن المعركة ضد أولئك الذين ساعدوا بخيانتهم عام 1948 على إقامة هذا الخنجر في قلب الأمة العربية ... "²

¹ خطب الرئيس بومدين، الجزء الخامس، وزارة الإعلام والثقافة، إدارة الوثائق والمنشورات، الجزائر 1979، ص 33 .

² خطب الرئيس بومدين، الجزء الأول، وزارة الإعلام والثقافة، دار البعث قسنطينة، 1970، ص 593 - 595 .

بهذا الفكر الإستراتيجي الثاقب كان صقر المغرب العربي يرد على مؤتمر لندن الإستعماري الذي إنعقد سرا في عام 1905 تحسسا بالخطر المحقق بالحضارة الأوروبية القائمة على الإستعمار، واستمر حتى عام 1907، بدعوة من رئيس وزراء بريطانيا (كامبل بنرمان) بغية تشكيل جبهة إستعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المتوافقة آنذاك، وهي بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإسبانيا، لإيقاف المد الإستعماري الألماني من جهة، والتعاون الودي بينها لضمان إستمرار نمو المصالح الإستعمارية المشتركة التي كانت تتمتع بها تلك الدول في البلاد العربية وغيرها.³

وبعد مضي أكثر من سنة على دراسة خبراء الإستعمار للإمبراطوريات السابقة، قدم المؤتمر نتائج ما توصل إليه على شكل تقرير سري إلى وزارة الخارجية البريطانية، ونظرا لخطورته أحالته على وزارة المستعمرات، ثم اختفى التقرير حتى قبيل الحرب العالمية الأولى، حين نشره صحفي بريطاني صهيوني في معرض الدفاع عن الوطن القومي اليهودي في فلسطين إستشهادا بأراء وقرارات الحكومة البريطانية، وسادة الإستعمار العالمي على ذلك.⁴

وأهم ما جاء في هذا التقرير : " إن إقامة حاجز بشري غريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معا بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة - على مقربة من قناة السويس - قوة معادية لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها هو التنفيذ العملي الوحيد للوسائل والسبل المقترحة ".⁵

³ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط 06، العربي للطباعة والنشر، دمشق 1986، ص 629 .

⁴ المرجع نفسه، ص 632 .

⁵ مسعود صالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين في نصف قرن، دار الفتح للطباعة والنشر، ط 02، بيروت 1969، ص 30 .

وقد سنحت الفرصة للدول الإستعمارية في تحقيق مقترحاتها في الوثيقة أثناء الحرب العالمية الأولى - التي ثار فيها العرب إلى جانب الحلفاء ضد تركيا (الخلافة الإسلامية)، ولم يجنوا سوى السراب - فمزقت بلاد الشام والعراق في اتفاقية (سايكس- بيكو) في 16 ماي 1916، وأهدت فلسطين للصهيونية العالمية في (وعد بيلفور) في 02 نوفمبر 1917 .

نشأة بومدين :

إن الهواري بومدين قضى حياته منذ الصغر في طلب العلم، ثم المشاركة في تحرير البلاد محاطا بعسكريين جعل منهم قادة أشاوس إعتد عليهم في تشكيل جيش منظم، لمواصلة حرب التحرير أمام رابع قوة عالمية لم تجد لها من بد سوى الإستجداد بقوة الحلف الأطلسي دون جدوى .

ولما استقلت الجزائر في جويلية 1962 عين وزيرا للدفاع ثم تولى الرئاسة في 19 جوان 1965، وقد امتاز بالشجاعة والإقدام ولم يتوان مطلقا عن قول الحقيقة والجهر بها .

بومدين وحركة عدم الانحياز :

ففي شهر أبريل 1974 بنيويورك وقف العالم برمته ينصت في خشوع ورهبة لخطاب تاريخي ألقاه أمام الدورة الإستثنائية لهيئة الأمم المتحدة التي دعا لها شخصيا بصفته رئيس كتلة عدم الانحياز، ليرفع على مسامع كبريات الدول أطروحة النظام الإقتصادي الدولي الجديد، مهددا الدول المصنعة، إن لم تقبل بإعادة النظر في النظام السائد آنذاك، والقائم على إستغلال الشمال للجنوب، فإنه سيأتي يوم يغزو فيه شباب الجنوب الفقير الشمال الغني على متن قوارب بحرية (الحراقة)، وهذا ما نعيشه في الوقت الراهن .⁶

⁶ هشام عبود، حوار مع أنيسة بومدين (أرملة الرئيس)، جريدة الشروق، ع 3156، 2010/12/27 .

وبأمر منه شخصيا وجه عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة آنذاك دعوة إلى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لإلقاء خطابه المشهور (البندقية وغصن الزيتون) في نوفمبر 1974، حيث تم الاعتراف الدولي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والعودة إلى وطنه، وقبول منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في هيئة الأمم المتحدة بأغلبية 105 صوتا.⁷

بومدين والقضية الفلسطينية :

قضية فلسطين لم تحظ باهتمام الرئيس بومدين فحسب بل شغلت بال كل عربي ومسلم وإنسان حر، فيندر أن نجد مجتمعا عربيا من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا لم يترجم هذا الإهتمام من خلال العديد من المواقف والإسهامات، سواء كانت عسكرية أو سياسية، وحتى أدبية فنية ...

فالقضية الفلسطينية لم ولن تكون في يوم من الأيام صراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين فحسب، رغم الجهود الآتمة التي بذلت لتكريس ذلك ...

كما أنها لن تكون صراعا إقليميا محصورا في منطقة الشرق الأوسط، كما أنها لن تكون صراعا قوميا ينحصر بين العرب واليهود ...

فالمسلمون قبل العرب ليس لهم فكاك من هذه القضية، حتى وإن أرادت المحافل السياسية العربية والإسلامية والدولية ذلك، والسبب ليس سياسيا، وإنما هو ديني وتاريخي وجغرافي أيضا، فأين هي القدس وبيت المقدس في العقيدة الإسلامية ؟ !⁸

⁷ سمر بهلوان ومحمد حبيب، دراسات في تاريخ القضية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان 1972، ص 474.

⁸ أحمد أبو جزر، العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي، تقديم حسن خاطر، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2004، ص 07-08

كانت القدس قبلة المسلمين الأولى التي صلى إليها المسلمون حقبة من الزمن قبل أن يتحولوا إلى الكعبة، وهي التي تضم ثاني بيت وضع للناس في الأرض، وهو المسجد الأقصى، وهذا المسجد بنص حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)

واحد من المساجد الثلاثة التي لا يشد الرحال إلا إليها .
والقدس أخيرا بنص الأحاديث النبوية الشريفة أرض المحشر والمنشر، إضافة إلى كونها الأرض المباركة والمقدسة .

ولا شك أن الشعب الجزائري بقيادته القديمة والحديثة يمثل واحدا من المجتمعات العربية التي بنت وتبني علاقاتها بتلك البقعة المباركة على أساس العقيدة الإسلامية⁹.

لم يكن الرئيس بومدين من النوع الذي يبدي حبه بالكلام والعبارات الرنانة، فهو رجل أفعال لا أقوال، وعندما أطلق شعاره " نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة " إثر حرب جوان 1967 كان يعني ما يقول، ويترجم ذلك على أرض الواقع :

إذ شارك بصفته وزيرا للدفاع ونائب للرئيس المرحوم أحمد بن بلة في المهرجان التضامني مع الشعب الفلسطيني في الجزائر العاصمة، الذي نظمه أبو جهاد (خليل الوزير) في إطار أسبوع التضامن مع فلسطين في شهر فيفري 1964، إمتد لأكثر من ثلاثة أشهر.¹⁰

لقد كان موقف الجزائر من قضية فلسطين موقفا صلبا ورائدا، وهذا ما اعترف به أبو إياد (صلاح خلف) في كتابه (فلسطيني بلا هوية)، حيث قال : " كان النظام الجزائري النظام العربي الوحيد الذي يؤيدنا عام 1964،

⁹ المرجع نفسه .

¹⁰ محمد حمزة، (أبو جهاد) أسرار بدايته وأسباب إغتياله، تقديم سمير يوسف، دار محمد علي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس 1989، ص 213 .

حيث رخص لنا بإقامة ممثلية فلسطينية في الجزائر عام 1963، غير أنه كان يرفض إعطائنا أية معونة مادية بسبب ميولاته الناصرية.¹¹ ولكننا تسلمنا أول شحنة سلاح من الجزائر عام 1965 بعد تسلم بومدين مقاليد السلطة.¹²

ففي الوقت الذي كان فيه الرئيس الراحل بن بلة رجل سياسة يؤمن بالخطط المحكمة التي قد تتطلب وقتا وجهدا مضاعفا¹³، كان وزير دفاعه بومدين رجلا مقاتلا يعرف بأن السياسة لا يمكن أن تغلح في الحرب إلا إذا واكبتها لعلعة الرصاص، وقعقة البارود.¹⁴

ونشرت مجلة المجاهد محتوى اللقاء الذي جمع الرئيس بومدين بممثلي الأجهزة الإعلامية العربية والدولية بمناسبة تسلمه لعدد من أوراق اعتماد السفراء العرب والأجانب، حيث قال: "لقد كان لتمسك الجزائر بعروبيتها والمحافظة على التقاليد الإسلامية دور كبير في شق طريقها مع الدول العربية لدعم الثورة الفلسطينية بكل ما تملك... ومشكلة فلسطين لهي في مقدمة القضايا التي تحمل الصدارة من مواقع إهتمامنا البالغ، ولقد ظلت الجزائر في المحافل الإفريقية والدولية تسعى لإبراز الطابع الحقيقي لهذه المشكلة".¹⁵

كان إنعقاد القمة العربية الثالثة في الدار البيضاء بالغرب الأقصى في سبتمبر 1965 فرصة مواتية للرئيس بومدين قدم فيها موقف الجزائر من

¹¹ صلاح خلف (أبو إياد)، فلسطيني بلا هوية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان 1996، ص 75.

¹² المصدر نفسه.

¹³ محمد تاملت، العلاقات الجزائرية الإسرائيلية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2001، ص 53.

¹⁴ لقد صرح الرئيس هواري بومدين لمجلة المصور القاهرية في عددها الصادر يوم 15/08/1973 بما يلي: "... لقد أيدنا المقاومة الفلسطينية منذ البداية، أيدناها منذ عام 1965 بالمال والسلاح، ولم نشأ أن نعلن عن ذلك في بيانات أو تصريحات، فليس ذلك أسلوبنا،... لقد قتل للأخ أبو عمار: إن إطلاق رصاصة واحدة خير من مؤتمر قمة، وأفضل من ألف قرار للأمم المتحدة. (المصدر خطب الرئيس بومدين، وزارة الإعلام والثقافة، الجزء الخامس، الجزائر 1979، ص 32).

¹⁵ مجلة المجاهد، عدد 270، في 1965/06/15.

القضية الفلسطينية، حيث قال : " إن استراتيجية الجزائر ومنهجيتها في التفاعل مع القضية الفلسطينية تقوم على نقطتين أساسيتين :

- إن أي مقاومة للإحتلال الإسرائيلي لابد أن تكون من داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة معتمدة على ما يعرف بحرب العصابات، وليس فقط على الجيوش النظامية .

- إن تأييد الجزائر لمنظمة التحرير لا يمنع من التأكيد بوضوح على ضرورة أن تكون هذه المنظمة ممثلة لكل الشعب الفلسطيني، وبعيدة كل البعد عن أي وصاية أو تبعية لأي دولة عربية .¹⁶

وأمام الأحداث الخطيرة التي شهدتها المنطقة العربية المتمثلة بالتهديدات العسكرية ضد سوريا، والعدوان على الأراضي الأردنية زار الرئيس بومدين القاهرة في 28 نوفمبر 1966 (وهي أول زيارة لمصر بعد حركة 19 جوان)، وأدلى بالتصريح التالي : " إن من واجبنا دعم منظمة التحرير الفلسطينية، ومساعدتها لأجل حشد الشعب الفلسطيني دفاعا عن الكرامة العربية في هذا الجزء العزيز من الأرض العربية " .¹⁷

بومدين وحرب جوان 1967 :

وقبل اندلاع حرب 05 جوان 1967، و على ضوء التقرير المقدم من قبل الطاهر زبيري قائد أركان الجيش الجزائري ترأس بومدين في 29 ماي بمقر وزارة الدفاع الوطني إجتماعا ضم أعضاء الهيئة التنفيذية، وقادة المناطق العسكرية، وأعضاء أركان الجيش، ووزير الخارجية، والمسؤولين الرئيسيين في وزارة الدفاع ناقش الخطوات التي تناسب تطورات الأوضاع في المشرق العربي، وقد أعلن في اليوم الموالي عن قرار إرسال وحدات من

¹⁶ . 116 . Jean paul , chagnllaud, maghreb et palestine, E.senedbad, Paris, 1977 , Page

¹⁷ (Jean paul) , chagnllaud , opct , Page 122 .

الجيش الجزائري إلى مصر، لتدعيم الجيوش العربية رغم أن الحرب لم تقم بعد.¹⁸

وفي اليوم الذي اندلعت فيه الحرب عقدت الحكومة الجزائرية برئاسة بومدين اجتماعا طارئا، وأعلنت بيانا أهم ما جاء به هو :

- تعتبر الجزائر نفسها في حالة حرب ضد إسرائيل إثر عدوانها على الأمة العربية .

- تتوجه نحو الجبهة جميع الوحدات وجميع الأسلحة والذخائر الضرورية لتدعيم الكفاح، وصد العدوان، وضمان النصر النهائي .

- كل دولة تتدخل لمساندة العدوان المقترف ضد الدول العربية ستعتبر عدوا للجزائر ...¹⁹

وبمجرد وصول خبر الهجوم الجوي الإسرائيلي على الجيوش العربية قرر مجلس الثورة إرسال قوات جزائرية على جناح السرعة، فوصلت في اليوم الثاني من الحرب 11 طائرة (ميغ) إلى أحد المطارات المصرية التي لم تكن قد استهدفت بعد، وكانت هذه الطائرات الحربية هي كل ما تملك الجزائر من أسطولها الجوي، وقاد هذه المقاتلات طيارون جزائريون لم يكونوا قد استكملوا بعد تدريباتهم على القتال الجوي، لكنهم لم تكن تنقصهم، لا الإرادة، ولا الحمية في الدفاع عن الكرامة العربية.²⁰

حشد الرئيس بومدين القوات الجزائرية المتوجهة إلى الجبهة في ثكنة عسكرية بزرالدة غربي العاصمة، وخطب بهم خطابا ناريا ألهم في نفوسهم حمية الحرب، قال فيه : "... العدو يتحرش بالجيوش العربية ...، وقد جعلوا إسرائيل خنجرا في قلب الأمة العربية...، وأنتم مجاهدون في سبيل

¹⁸ جريدة الشعب 1967/05/29

¹⁹ جريدة العمل 06 جوان 1967

²⁰ الطاهر زبيري، نصف قرن من الكفاح - مذكرات قائد أركان جزائري -، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر 2011، ص 159 .

القضية العربية، ومصر هي التي تحملت عبء الحرب، وساعدتنا خلال ثورة التحرير ... إنكم تحملون مجد الأمير عبد القادر، ومجد جيش التحرير، ومجد المليون ونصف المليون شهيد، فإما النصر أو الإستشهاد ²¹

كما أرسلت الجزائر باخرة محملة بالأسلحة والذخائر الحربية ومواد التموين الضرورية للحرب، ونقلت على ظهرها 30 دبابة و03 فيالق، لكن هذه القوات لم تصل إلا بعد أسبوعين إلى خطوط المواجهة، وكانت الحرب قد وضعت أوزارها .²²

لقد اتصل بومدين في اليوم الأول للحرب هاتفيا بالرئيس المصري عبد الناصر حوالي 8 مرات، وهو في حالة قلق شديد، معربا عن رفضه الاقتناع بأن الطيران الإسرائيلي نجح في تدمير كل المطارات والمقاتلات المصرية، وبأمر منه حل في اليوم الثالث من الحرب عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية بالقاهرة في طائرة خاصة، لينقل رسالة شفوية وعاجلة من بومدين إلى عبد الناصر، وليتعرف على ما يحدث في الجبهة، فيكون بذلك بوتفليقة أول مسؤول عربي يتوجه لمصر أثناء العدوان الصهيوني عام 1967 .²³

وفي النصف الأول من شهر جوان ألقى بومدين خطابا في ساحة الشهداء بالجزائر التي أمها آلاف الجزائريين الغاضبين مما وقع على جبهات القتال في مصر وسوريا، أعلن فيه أن الجزائر ستقف شعبا وجيشا وحكومة

²¹ مجلة الجيش، عدد جويلية 1967، ص 10-11 .

²² الطاهر زبيري، المصدر السابق، ص 160 .

²³ وليد عرفات " الجزائر تعلن الحرب على إسرائيل، وعبد الناصر يصر على القتال ويستعجل القوات الجزائرية " جريدة الشروق اليومية، ع 2323 في 07 جوان 2008 .

مع مصر وسوريا حتى النهاية، وتحرك الرجل على عجل إلى القاهرة ليكون أول رئيس عربي، ومسؤول كبير يزور مصر عقب العدوان .²⁴ عرض بومدين على الرئيس عبد الناصر خطة لشن هجوم معاكس على القوات الصهيونية في سيناء والجلولان، ترتكن الى هجوم بري كبير تقوم به القوات المصرية والسورية مدعومة بقوات جزائرية كبيرة تحت غطاء جوي تكفله المقاتلات الجزائرية، فتحمس الرئيس عبد الناصر لذلك، لكن الطرف السوري لم يؤيدها لفقدان معظم قواته في الحرب، فاضطر عبد الناصر للتراجع لاعتقاده أن نجاح العملية محكوم عليه بالفشل بدون مشاركة سوريا .²⁵

ومحاولة لانقاذ الموقف على المستوى الدبلوماسي قام بومدين بزيارة الى موسكو من أجل أن يبحث مع القادة السوفييات موقف البلدان الاشتراكية الذي اعتبر (سلبيا) حيال العالم العربي، ويطلب دعما يتجاوز التأيد الدبلوماسي، فلم يجد صدى لذلك حين طرح كوسيجين (عضو الوفد السوفياتي للمفاوضات) عدم تسديد العرب لتكاليف ماتم توريده لهم من سلاح .²⁶

اشتد غضب بومدين وخاطب كوسيجين قائلا : " أنه كان يتخوف من هذه الملاحظة، فاستعد لها بأن طلب من وزير المالية قايد أحمد أن يعد تحويلا لصالح وزارة الدفاع السوفياتية بمبلغ قدره 100 مليون دولار، وأخرج الشيك ووضعه على المائدة " .²⁷

وفي يوم 19 جوان خاطب بومدين الأمة العربية للمرة الرابعة في ظرف أسبوعين رافضا الهزيمة، ووجه نداء مزدوجا : الى

²⁴ المصدر نفسه .

²⁵ نفسه .

²⁶ أحمد بن يخزر " الجزائر وحرب جوان 1967 "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر - 2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية عام 2011، ص 89 .

²⁷ المرجع نفسه .

الجزائريين كي يتدربوا على السلاح، وإلى العرب كي يستخدموا سلاح البترول، وندد بالإمبريالية الانجليزية والأمريكية الموجهة ضد مجموع الأمة العربية وألح على الفكرة التالية : " لقد خسرنا معركة، ولكننا لم نخسر الحرب، ذلك لأننا لم نوظف جميع إمكانياتنا وجميع ثرواتنا " .²⁸

وفي 10 جويلية أي بعد شهر من الحرب قام بومدين بجولة في المشرق العربي للقاء رؤساء كل من مصر وسوريا والعراق، ثم توجه مع الرئيس العراقي إلى موسكو لحث السوفيات على إعادة التوازن المختل بسبب المساعدة الأنجلو-الأمريكية المكثفة لإسرائيل .²⁹

وخلال الأسابيع التي تلت الهزيمة لم يتوقف بومدين عن الإلحاح على فكرة أساسية مؤداها أن القبول بالهزيمة يعني وأد القضية الفلسطينية، و نقاديا لذلك يجب الاستمرار في الكفاح مع الاستعداد الجدي له، والتركيز على دعم قدرات بلدان المواجهة، لأن محيطا مستكينا من شأنه أن يشجع على عدوان توسعي آخر .³⁰

موقفه من مشاريع التسوية :

ولما ظهرت مشاريع التسوية بعد حرب جوان 1967 كان موقف الجزائر منها متطابقا مع وجهة النظر الفلسطينية، فأكد الرئيس بومدين في أكثر من مناسبة موقف الجزائر من الأمن الذي يجري تصويره في الشرق الأوسط فقال : " ...وإنه لا يمكن تنفيذ قرار مجلس الأمن 242 تنفيذا كاملا إلا على حساب القضية الفلسطينية، وإن الجزائر رفضت قرار مجلس الأمن لاقتناعها بأن تنفيذه ينطوي على تصفية القضية

²⁸ أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، الجزء الثاني، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008، ص 336 .

²⁹ المصدر نفسه .

³⁰ نفسه .

الفلسطينية، وعلى الاعتراف بالصهيونية، وعلى الإستسلام، و منع مواصلة الكفاح .³¹

وبعد موافقة مصر على مشروع (روجرز) وزير الخارجية الأمريكي تقدمت الحكومة الجزائرية بطلب سحب قواتها من قناة السويس بعد 03 سنوات من تواجدها في إطار حرب الإستنزاف، ووضح بومدين أسباب اتخاذ هذه الخطوة في خطاب بالمدرسة الجوية بطفراوي، حيث قال : "... وإذا كنا قد قررنا في المدة الأخيرة - بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار وقبول المشروع الأمريكي - رجوعكم، فلأن وجودكم في القتال، وفي الخط الأول من المعركة أصبح متناقضا مع سياسة بلدكم وشعبكم، إذ لا يمكن أن نرفض وقف إطلاق النار من جهة، وتبقون أنتم في الخنادق تحرقون بالشمس على بعد 04 آلاف كلم من عاصمة بلدكم ... نحن نعرف بأن لكل بلد شقيق، ولكل بلد عربي كل الحق للتصرف في أراضيهِ، وللتصرف في حدود سيادة بلاده الوطنية كما شاء، وليس لنا ان نتدخل في الشؤون الداخلية للأشقاء، ولكن من حقنا أن نقول باسم الجزائر والثورة الجزائرية بأنه ليس لواحد الحق، ولا لأي رئيس دولة عربية، ولا لأي مسؤول عربي أن يتصرف بالقضية الفلسطينية، ولا أن يدفع الشعب الفلسطيني ثمن هزيمة 05 جوان 1967 ."³²

وكان للأحداث التي عاشتها الثورة الفلسطينية بلبنان في أفريل 1969 صدى كبير في الجزائر، حيث عقد مجلس الثورة اجتماعا طارئاً درس فيه الأحداث الخطيرة التي تمر بها الثورة الفلسطينية، وأصدر البلاغ التالي : "إن موقف الجزائر في هذه القضية لا ينبع من أي تكتل، ولا

³¹ الخبير عزوق " موقف مجلة المجاهد من القضية الفلسطينية 1965 - 1982 "، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر ، كلية العلوم القانونية والسياسية 1992، ص166 .

³² خطاب الرئيس بومدين، وزارة الإعلام والثقافة، إدارة الوثائق والمنشورات، مطبعة البعث، قسنطينة 1970، ص 63-64 .

يخضع لاعتبارات سياسية خارجية كانت أم داخلية، ولكن ينطلق من شعور عربي صريح، ومن مراعاة مستقبل الشعب العربي المرتبط بمصير مشترك، وإن شعبنا إذ يتفاعل مع القضية الفلسطينية بحماسة شديدة، فلأنه لا يفهم، ولا يتصور كيف أن يقع المقاومون الفلسطينيون بين فكي جبهتين، ويتعرضون لبندقيتين : إحداهما إسرائيلية والأخرى عربية؟ !³³

وبمناسبة عيد الشغل الذي يصادف الفاتح ماي من كل سنة ألقى الرئيس بومدين خطابا أمام العمال الجزائريين، قال فيه : " ... إن الجزائر لن تقدم يدها إلى أي حاكم يساهم في تصفية القضية الفلسطينية..."³⁴

وعلى إثر اتساع المعارك والاشتباكات بين المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني التي تحولت إلى مجازر مروعة في سبتمبر 1970 أبرق الهواري بومدين إلى ياسر عرفات برقية جاء فيها : " إن الأحداث الدامية التي تجري الآن في الأردن لتجعلنا نندد ونشجب المؤامرة الدنيئة التي تستهدف القضاء على المقاومة الفلسطينية ... ولا يسعنا في هذه الظروف الحرجة إلا أن نؤكد لكم باسم الجزائر حكومتا وشعبا وقوفنا بجانبكم ومساندتنا لثورتكم مهما كلف الأمر ."³⁵

بومدين وحرب أكتوبر 1973 :

أكثر من 06 سنوات وإسرائيل تماطل في تطبيق قرار مجلس الأمن 242 الصادر في نوفمبر 1967، فهي تريد أن تقطف ثمار انتصارها بالحصول على مزيد من الأرض العربية، ولما شعر السادات أن هذه الحالة

³³ مجلة المجاهد، عدد 457، 1970/05/25 .

³⁴ المصدر نفسه .

³⁵ جريدة الشعب، 1970/09/18 .

(حالة اللاحرب واللاسلم) لم تعد تطاق قرر خوض حرب أخرى لجبر الدول الكبرى على التدخل لإيجاد حل .³⁶

عاد اللواء سعد الدين الشاذلي إلى الجزائر سرا في 17 سبتمبر 1973، والتقى بالرئيس بومدين، لكي يطلعه على قرار مصر باستئناف المعارك في أجل أقصاه ثلاثة أشهر ،³⁷ لكن بومدين شك في عزم مصر الحقيقي على خوض الحرب، ولم يفهم كيف يمكن لمصر أن تقوم بذلك بعد طرد المستشارين والتقنيين العسكريين السوفييات الذين كانوا يقومون بدور هام في مجال الدفاع والسبر الإلكتروني .³⁸

كلف بومدين أحمد بن محمد عبد الغني عضو مجلس الثورة وقائد الناحية العسكرية الخامسة بمهمة لدى أنور السادات ومعمر القذافي، وظل على اتصال دائم بالهاتف والبرقيات مع أنور السادات وحافظ الأسد .³⁹ وقام الرئيس بومدين بإقناع نظيره السوفيياتي (ليونيد بريجنيف) ببيع المصريين أسلحة حديثة رغم سوء العلاقة بين الطرفين .⁴⁰

وعلى هامش قمة عدم الإنحياز التي انعقدت في الجزائر في أوائل شهر سبتمبر 1973، عملت الجزائر على إقناع دول إفريقية واشتراكية عديدة على قطع علاقاتها بإسرائيل، واستضاف بومدين ياسر عرفات إلى هذا المؤتمر وتحدث لأول مرة باسم شعبه شارحا قضية بلاده،

³⁶ فليب روندو، الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة كمال الخولي، المنشورات العربية ش.م.ل، بيروت، ص 24 .

³⁷ أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 344 .

³⁸ المصدر نفسه، ص 343 .

³⁹ مجلة المجاهد، 1973/10/13، ص 10 .

⁴⁰ محمد تامالت، المرجع السابق، ص 129 .

فقطعت كل من الطوغو وكوبا علاقاتها مع إسرائيل بعد القمة بأسبوع، لتتبعها دول كثيرة بعد حرب أكتوبر 1973.⁴¹

وعند اندلاع الحرب في 06 أكتوبر، وفي مساء نفس اليوم أي بعد الإفطار ترأس بومدين إجتماعا مشتركا لمجلس الثورة والحكومة تقرر خلاله - من أجل ضمان مساهمة الجزائر بالحرب في أقرب الآجال - إرسال أسراب من الطائرات وتوجيه بعض الوحدات العسكرية، وتوجيه نداء إلى جميع الحكومات العربية من أجل دعم مصر وسوريا في هذه المحنة الجديدة.⁴²

وحسب شهادة اللواء سعد الدين الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري، فقد أعلن : " إن الجزائر أرسلت إلى الجبهة في عام 1973 ثلاثة أسراب من الطائرات (ميغ 21، ميغ 17، سوخوي 7) وفيلقا مدرعا ". ثم أضاف : " وفي 1972 أهدت الجزائر مصر 24 قطعة مدفعية، جاءت لتضاف إلى العتاد الثقيل الذي ترك في عين المكان بعد انسحاب فيلقها عام 1970 ".⁴³

وفي يومي 14 و15 أكتوبر قام الرئيس هواري بومدين بزيارة للإتحاد السوفياتي، والتقى بالرئيس بريجينيف لدراسة الوضع المتفجر في الشرق الأوسط، وإثر شكوى السوفيات من عدم تسديد المصريين لديونهم العسكرية أخرج بومدين الصك الذي حمله معه بقيمة 200 مليون دولار، وسلمه للسوفيات حتى يستأنفوا توريد السلاح لمصر.⁴⁴

وهذا ما أكدته شهادة اللواء المصري كمال عامر قائد الجيش الميداني الثالث في حرب أكتوبر، حيث قال : " ...و عند تأخر

⁴¹ محمد تامالت، المرجع السابق، ص 129 .

⁴² أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 344 .

⁴³ المصدر نفسه، ص 345 - 346 .

⁴⁴ المصدر نفسه .

تقديم بعض الأسلحة والذخائر من روسيا إتصل السادات بالرئيس بومدين الذي ذهب فوراً إلى روسيا، و قابل القادة السوفيات، وقال لهم : " أنا مستعد لأن أعطيكم صكا على بياض لأي شيء، أو متطلبات تحتاجها مصر حتى تستكمل أهداف حربها . " ⁴⁵

كما أمدت الجزائر سوريا بصفقة أسلحة بلغت قيمتها 100 مليون دولار، وكانت عبارة عن أسلحة سوفياتية، شملت صواريخ أرض - أرض، وأرض - جو، دبابات، وأجهزة رادار، وذخيرة ميدان متنوعة . ⁴⁶

لقد قبلت الجزائر أن يعقد مؤتمر القمة العربي السادس على أراضيها في نوفمبر 1973 نزولا عند رغبة بعض الدول العربية، وبهذه المناسبة صرح بومدين قائلاً : " لقد قبلنا عقد مؤتمر القمة العربي السادس خدمة للقضية العربية، وصيانة للتضامن العربي، ...نحن نتضامن من أجل تحقيق أهداف واضحة، هي بالتأكيد أهداف الأمة العربية قاطبة، ولا يمكن التنازل عنها بأي حال من الأحوال، ولو بتجدد المعارك، ولو كانت هناك حرب خامسة أو سادسة أو عاشرة . " ⁴⁷

وفي مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني تدخل بومدين في مؤتمر الجزائر ليقول بكل حزم : " إنني أضع التضامن العربي في كفة، وقرار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كفة أخرى، فمن يعارض ؟ " فارتفعت يد واحدة هي يد بهجت التلهوني رئيس وزراء الأردن حيث قال : " لا أعارض، ولكنني أسجل تحفظاً "، وبعد دقيقة صمت قال بومدين : " إذن نحن جميعاً موافقون على

⁴⁵ حمدي شجيع " القوات الجزائرية أدت مهامها بأعلى درجات الأداء "، جريدة الشروق 2013/10/17، ص

15 .

⁴⁶ المصدر نفسه .

⁴⁷ خطاب الرئيس بومدين، وزارة الإعلام والثقافة، الجزء 05، مطبعة النصر، قسنطينة، ص 125 .

أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني
48

تحفظت الجزائر على مؤتمر جنيف الذي انعقد في ديسمبر 1973 لأنه لا يؤدي إلى التعجيل في إحلال السلام بالشرق الأوسط، إذ أن الموقف الإسرائيلي والأمريكي يشير بوضوح إلى تمبيع القضية الرئيسية، بإثارة قضايا جانبية كالفصل بين القوات، وتبادل الأسرى.⁴⁹ اتهم كيسينجر وزير الخارجية الأمريكي البلدان العربية المنتجة للبترول بخنق إقتصاد العالم المصنع عندما استعملته كسلاح في حرب أكتوبر، وهددها بتدخل عسكري، فرد الرئيس بومدين على ذلك التهديد بقوله : " إذا كان الأمريكي الذي يحاصرنا يتخبط في حقول الأرز بالفيتنام، فإنه سيعرف النتيجة في رمال صحراء الجزيرة العربية ."⁵⁰

بومدين والحرب الأهلية في لبنان :

أدركت إسرائيل والولايات المتحدة أن لبنان هو الساحة الأخيرة للثورة الفلسطينية التي أنجزت الإعراف الدولي بعد حرب 1973، حيث قبلت منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة في 13 نوفمبر 1974، فلجأتا إلى الأنظمة العربية العميلة لها لتتوب عنها في سحق الثورة الفلسطينية، وأوعزت للقوى اليمينية في لبنان بضرب الثورة فأشعل حزب الكتائب اللبناني نيران الحرب الأهلية بمجزرة عين الرمانة في 13 أبريل 1975، التي أدت إلى اشتباكات مسلحة بين المقاومة الفلسطينية وحلفائها والجهة اللبنانية.⁵¹

⁴⁸ محمد سليم قلاله " مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية 1967 - 1982 " ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 1986 ، ص 126-127

⁴⁹ أحمد طالب الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ص 348 .

⁵⁰ المصدر نفسه ، ص 349 .

⁵¹ الخير عزوق ، المرجع السابق ، ص 303 .

وقفت الجزائر كعادتها إلى جانب الثورة الفلسطينية عندما تعرضت إلى مخطط تصفوي في لبنان، فبعث الرئيس بومدين برقية لنظيره اللبناني سليمان فرنجية، جاء فيها : " إن الحوادث الدامية التي تجري في بلدكم الشقيق التي تعرض المقاومة الفلسطينية، والقضية المصيرية لأفدح الأخطار تأتي في فترة دقيقة وتتطلب المزيد من الجهود لدعم الصفوف، وتركيز القوى العربية لمواجهة التحديات الصهيونية الإستعمارية، والمناورات الرامية إلى إضعاف وتفتيت الموقف العربي...

وإننا إذ نعرب لكم عن اهتمامنا البالغ، وقلقنا الشديد لما يجري في لبنان الشقيق من حوادث خطيرة لواقون من أنكم لن تدخروا جهدا للعمل على إيقاف هذه الأحداث، والتدخل للحيلولة دون استمرارها، واستفحالها حفاظا على سلامة الثورة الفلسطينية، وعلى وحدة شعبكم، وعلى التضامن العربي ... " 52

لقد ساعدت هذه الحرب الملعونة على اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان في 08 مارس 1978 لإختلال ميزان القوى بين إسرائيل والجهة الشمالية الشرقية المؤلفة من سوريا ولبنان والاردن ،ولضعف التنسيق السياسي والعسكري ،وخروج مصر من الصف العربي، بهدف تحطيم البنية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومكنت إسرائيل من غزو لبنان في جوان 1982، وحصار العاصمة بيروت لأكثر من شهرين حتى اضطرت المقاومة الفلسطينية للجلء عن بيروت، وتشتت قوات الثورة الفلسطينية عبر عدة دول عربية كسوريا والعراق واليمن الجنوبي والأردن والسودان وتونس والجزائر . 53

⁵² جريدة الشعب، 1975/04/18، ص 09 .

⁵³ عبد القادر محمودي، النزاعات العربية - العربية وتطور النظام الإقليمي 1945 - 1985، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر 2001، ص 539 - 541 .

وبعد أن تأكدت مصر من فشل مؤتمر جنيف بدأت بتطبيق أهداف حرب أكتوبر (حرب تحريكية لا تحريرية)، والخروج على قرارات مؤتمرات القمة العربية، والتوجه نحو أمريكا لإيجاد تسوية لقضية الشرق الأوسط .

بومدين واتفاقيتي كامب دايفيد :

ولكسر الجمود السياسي وحاجز الخوف، وبسبب عدم الثقة التي تقف عائقا أمام تحقيق السلام زار السادات القدس المحتلة في 19 نوفمبر 1977، فتفاجأ العالم بهذه الزيارة لأنها أول زيارة رسمية يقوم بها زعيم دولة عربية لدولة معادية بعد 30 سنة من الحرب، وبقرار فردي متحديا قرارات القمم العربية.⁵⁴

هاجمت وسائل الإعلام الجزائرية في مقالاتها بشدة زيارة السادات إلى القدس المحتلة، كما شهدت شوارع الجزائر العاصمة مظاهرات احتجاجية على مبادرة السادات للإستسلامية.⁵⁵

وقام الرئيس بومدين بزيارة عمل للإتحاد السوفياتي في النصف الأول من جانفي 1978، في أعقاب جولة طويلة قادته إلى كل من سوريا والعراق والكويت والسعودية والأردن واليمن الشمالي والجنوبي والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية من أجل العمل على وقف الإنهيار في الصف العربي نتيجة زيارة السادات للقدس المحتلة.⁵⁶

بذل الرئيس بومدين جهودا كبيرة لإقناع قادة بعض هذه الدول بوجود التصدي الفعال لخط التسوية الإستسلامية مع العدو، والانضمام إلى الجبهة

⁵⁴ عبد الحليم مناع العدوان " القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة العربية 1964 - 1990 " رسالة ماجستير،

جامعة عمان 1991 ، ص 110

⁵⁵ مجلة المجاهد، عدد 902، 1977/11/25،

⁵⁶ جريدة الشعب 1978/01/16 .

القومية للصمود والتصدي التي شهدت النور في طرابلس الغرب في مطلع ديسمبر 1977 بمبادرة من العقيد القذافي .⁵⁷

وفي 24 مارس 1978 ألقى الرئيس بومدين خطابا في المؤتمر الخامس للإتحاد العام للعمال الجزائريين في قصر الأمم، قال فيه : " إن ما يجري في الشرق الأوسط يدمي القلوب ! لقد قيل لنا أن العرب قد انتصروا في حرب 1973، فإذا الذي رفعوا راية النصر هم الذين ذهبوا إلى إسرائيل لتوقيع صك بيع فلسطين ! .

لقد قلنا للرئيس المصري بكل محبة وأخوة أننا سنختلف معه إذا اختلف معه الفلسطينيون ...

... إن ذهاب السادات إلى القدس المحتلة هو إقرار منه بها كعاصمة لإسرائيل، وهولم يذهب إلى هناك من أجل القضية الفلسطينية، بل ذهب تحت وهم إمكانية إسترجاع الأراضي المصرية في سيناء، وتحدث دون تفويض بإسم العرب وباسم الفلسطينيين ليعترف بإسرائيل !".⁵⁸

تكونت جبهة الصمود والتصدي من دول الجزائر وليبيا والعراق وسوريا وجمهورية اليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وعقدت إجتماعها الثاني بالجزائر في فيفري 1978 والثالث بسوريا في سبتمبر 1978، وأهم قراراتها هي :

- قطع العلاقات السياسية والإقتصادية مع النظام المصري .
- العمل على نقل الجامعة العربية ومنظماتها المختلفة من القاهرة .

⁵⁷ المصدر نفسه .

⁵⁸ خطب الرئيس بومدين، وزارة الإعلام، المديرية الفرعية للوثائق والمنشورات، الجزء 05، الجزائر 1979، ص 92 - 93 .

- تكليف الرئيس السوري حافظ الاسد بالقيان بجولة في الأقطار العربية من أجل عرض قرارات المؤتمر، وكذلك بزيارة الاتحاد السوفياتي لبحث إمكانية تطوير العلاقات معه ...⁵⁹

ولتجاهل وتكرر إتفاقيتي (كامب ديفيد) للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فوق أراضيهِ المحتلة، وتآمر السادات مع العدو الصهيوني لاسترجاع سيناء مقابل الإعتراف بشرعية الإغتصاب الصهيوني لفلسطين، دعى مجلس قيادة الثورة في العراق إلى عقد مؤتمر قمة عربي، فانعقد في بغداد في الأسبوع الأول من نوفمبر، شاركت به الجزائر، واتخذ جملة من القرارات أهمها :

- عدم الموافقة على اتفاقيات كامب ديفيد، ورفض كل ما يترتب عنها من آثار سياسية أو إقتصادية أو قانونية .

- ضرورة توحيد الجهود العربية كافة من أجل معالجة الخلل الإستراتيجي الذي نجم عن خروج مصر من المعركة، وذلك بتقديم المساعدة المادية لمدة 10 سنوات⁶⁰، لدعم دول المواجهة العربية في الجبهتين الشمالية والشرقية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ودعم صمود الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .

⁵⁹ مجلة الجيش، عدد 175، أكتوبر 1978، ص 24 - 25 .

⁶⁰ حدد المؤتمر حصة كل دولة من الدول المساندة، فتعهد العراق بدفع 500 مليون دولار وليبيا ب 550 مليون دولار، والجزائر ب 250 مليون دولار، والسعودية ب 1000 مليون دولار، والإمارات العربية 400 مليون، وقطر ب 230 مليون، والكويت ب 550 مليون . وخصصت هذه المبالغ لكل من دول المواجهة : سوريا 1850 مليون، الأردن 1250 مليون، منظمة التحرير الفلسطينية 250 مليون، حيث تدفع المبالغ على ثلاث أقساط سنوية، و لمدة 10 سنوات، كما خصص المؤتمر مبلغ 150 مليون لصمود الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، وتقوم المنظمة بتوزيع المبلغ (المصدر عبد الحليم مناع العدوان، ص 118، نقلا عن وكالة الأنباء الكويتية - وثائق مؤتمرات القمة العربية - ص 102-103) .

- دعوة الحكومة المصرية العدول عن قرارها في توقيع الإتفاقيات مع إسرائيل، وعقد الصلح معها، وإلا تعرضت للمقاطعة العربية، ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة.⁶¹

الخاتمة :

لقد أزعجت مواقف بومدين التاريخية المجسدة في حربي 1967 و1973، واستعماله سلاح النفط ضد الغرب المتصهين، مما مكنه أن يفشل مخطط الأمريكي اليهودي (كيسينجر) وزير الخارجية الأمريكي في سياسته (الخطوة-خطوة) لحل قضية الشرق الأوسط، الأمر الذي أفضى إلى اتهامه بأنه كان وراء خطة إغتيال الرئيس بومدين.⁶²

توفي بومدين في 27 ديسمبر 1978 إثر مرض غريب أصابه بعد مشاركته في مؤتمر الصمود والتصدي الثالث ببغداد في سبتمبر 1978، بعد أن أحدث إنقلابا في السياسة العربية، مرددا أن تحرير فلسطين هو الطريق إلى الوحدة العربية وليس العكس .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته حيث مضى شهيدا من أجل تحرير الجزائر وفلسطين .

⁶¹ عبد الحليم مناع العدوان، المرجع السابق، ص 117 - 118 .

⁶² صالح مختاري " الحروب السرية ضد الأمة الجزائرية "، جريدة كواليس، عدد 183، من 28 أكتوبر إلى 03 نوفمبر 2002 .